الفصل الأخير

عبد المجيد لطفي

انني اعرف ساعة مجيئها، تلك البنيّة الجميلة المقطبة.

وها هي سيارتها الصغيرة تقف عند الرصيف وباب الحديقة مفتوح وما من احد في البيت سواي...

وعلى كل حال ها هي هنا، تدخل بثوب قصير وخصر مشدود وتلمع عيناها اذ تلتقيانني.

ـــ صباح الخير يا جدي... ها قد عادت الفتاة المزعجة!...

نهضت وطوقتها واشرت ان تجلس قربي

ـــ وما الجديد منذ الضحى!..

ـــ لقد هربت من واجهة العرض..

ـــ ومنذ متى تعملين كعارضة؟؟

ـــ سل ابي!... فمنذ تخرجي من المعهد قال:

«لقد عينتك في مكتبي الهندسي، وسأدفع لك ثلاثة اضعاف ما تدفع الدولة لك كموظفة صغيرة».. ارأيت يا جدي؟ ان لك ابناً وغدا!..

ـــ ماجدة! ما هذا، انه على كل حال والدك الذي يحبك بما هو فوق الوصف.

ـــ ولهذا انا شقية به... اتدري ماذا حصل خلال هذه المدة يا جدي؟

ـــ ماذا حصل؟

ـــ تمت مؤامرات عديدة من وراء ظهري، ورفضت.

ـــ رفضت ماذا يا ماجدة الطيبة؟

ـــ لا تدعني بهذه الصفة يا جدي، فلم اعد ماجدة طيبةٌ، انني رفضت خمسة من الذين تقدموا للزواج بي... وكلهم من صنف ابي مغلفون بالاموال المكدسة..

ـــ وموقف امك يا ماجدة؟..

ـــ اسوأ.. إنها ملحاحة الى حد الازعاج وهكذا حين ملأني الضجر قلت: «ليس امامي غير المنزل الذي احببت بكنف جدي».

ـــ ومنذ اليوم؟

ـــ منذ الساعة يا جدي، عدني بأن تذود عني بوجه ابي...

ـــ بلى اعدك وسأقتحم صلافته حتماً ولكن لماذا انت ضجرة يا ماجدة؟ ما الذي ينقصك؟

ـــ وهذه هي المشكلة يا جدي، لكم تمنيت لو ان لي نقصاً اشكو منه..

ـــ وهذا! هو النقص، الاخلال بالتوازن عن طريق الامتلاء كلية بالاستغناء عن حاجة ما تستعصي على المال...

ـــ وهل انت على موعد يا جدي؟ انت بكامل ملابسك.

ـــ وارجو الا يزعجك القادم، انه شاب دمث من عائلة متواضعة، كان ابوه فراشا في مكتبي واعجبت به منذ كان صبيا، انه يعد الآن لشهادة الدكتوراه في الفلسفة.

ـــ لا بد ان يكون معقدا.

ـــ ربما ولكنه حين اختار الفلسفة فلأنه يفهم الحياة بصورة منطقية.. هيه.

ورن جرس الباب الداخلي برفق، قصيرا رنانا وسمعت خطواته، صحت:

ـــ ادخل يا عبد الواحد. هيا «ادخل دون تردد».

قلت وانا اقف ـــ هذه هي...

ـــ اعرفها يا سيدي، ارجو المعذرة آنسة قلت ـــ آنسة ماجدة ولكن منذ متى تعرفت عليها؟...

اشتعل الغضب في عيني ماجدة فقال ـــ منذ اول يوم تشرفت به بزيارتك في هذه المكتبة إن صورتها الكبيرة الملونة معلقة في صدر المكتبة وقد خجلت ان أسأل عمن تكون؟

الوسيلة

شوقي شفيق

في احتفال الرماد تجيئين
أو في انهيار الفجاءة،
في عتمة الطرق الموحشات
تلاقت يدانا،
وفي غبش الماء صار تشيؤنا برهة لليقين.
هنا جثة.
وردة.
حجر ينضوي في الجبين المكلس،
هل تدخلين معي في التجاسر؟
قولي - ولو مرة - إن صارية الروح مرفوعة لي
ورافعة لي
وقولي..
فان دمي ينتهي في السؤال.
تلاقت يدانا؟ أم البحر ساورنا واللقاء السريع؟
تساءلت كيف يدغدغني حلم في رصيف الدخان
فأحمل هم سجائري المتعبات
وأرمي بأعقاب دمّي على خيمة في شحوب الطريق؟
تلاقت يدانا،
فأبحر قلبي نحو المصابيح،
ساورني البحر
والتمعت في جبيني نكهة معطفك المستثار بدمعي
قلبي يطاردني، مثل ظلك،
هل اتساءل بعدئذٍ كيف يأخذني البحر؟..
هاهي ذي الفلوات ترشحني طائراً
يتهالك في ذروة الاشتهاءات،
تأخذني رعشة الماء،
هل اتساءل بعدئذٍ كيف ساورني البحر..؟
ها ها أنذا في سرير البراءة أحمل شوق العصافير
مستوحشاً..
ودمي يكتب الاسئلة!

قلت ــ اجلس يا بني، ارني الفصل الاخير الذي كتبت...

رفعت رأسي عن الورقة لاجد أمامي فنجانا من القهوة.. ارتشفت جرعة طويلة منه.

ــ يا لها من قهوة لذيذة، شكراً لحسن ضيافتك في دارك.

واذ ابتسمت قلت للشاب: من الافضل ان تختم الدراسة بهذا الفصل، انه مرضٍ تماما ومنسجم مع الفصول السابقة..

ــ اترى ذلك جادا يا سيدي؟...

ــ جادا كل الجد يا عبد الواحد. كل الجد أُهنئك مسبقا على درجة الشرف التي لا بد ان تكون من نصيبك...

نهض وشد على يدي وسحب الفصل الأخير وتأهب للمغادرة.

ــ شكرا للاستقبال يا سيدي، وانه لشرف اني عرفتك يا آنسة...

ــ آنسة ماجدة اذا نسيت الآن مهلًا.. لا بد انك جئت بسيارة عامة ولا تكن في عجلة من امرك فان ماجدة الطيبة. ستحملك حيث تريد.

ووثبت ماجدة واقفة وتقدمت الشاب وانا اقول بمرح فاض على اللسان:

ــ وهذا ما ينقصك يا ماجدة.. هذا ما ينقصك.

وعدت مرة اخرى لمواصلة القراءة في الكتاب الذي طويته.

بغداد **عبد المجيد لطفي**